(العلمانية) في محيط الثقافة العربية الإسلامية- مادة مقترحة –مقررا– لدرس "العلمانية" لطلاب الجامعات العربية

التجاني محمد الأمين زايد أحمد*

المستخلص:

هذا مدخل مختصر –ونحسبه جديدا– لدراسة العلمانية يستند إلى ضرورة استجلاء مفهوم المصطلح في محضنه الغربي وتاريخ دخوله في القاموس العربي وظروف انتشاره في عالمنا الإسلامي وكشف أهداف وهوية النخبة العربية النصرانية التي أشاعته. وذكر جهود أهم الرموز الإسلامية (جمال الدين الأفغاني) التي انتبهت للمذهب الجديد –منذ قرن ونيف– وفهمت مراميه وفسرت حقيقته لعامة الناطقين بالعربية على الوجه الذي فهمه به الغرب وخلافا للخطة الانتهازية التي اشاعته بها النخبة العربية المعاصرة للأفغاني. كما تتضمن الورقة آخر نقد للعلمانية أنتجه الغرب من خلال مصطلحي العلمانية الفاشية Fascist Secularism و"ما بعد العلمانية"Post-Secularism

ABSTRACT

This is a brief introduction -that we consider as a novel approach– to the study of secularism. The research was based on the importance of elucidating the concept behind the term in its Western birthplace, as well as the history of its entry to the Arabic nomenclature and the conditions of its spread in the Islamic World. It purports moreover to reveal the cultural and religious identity and goals of the Arab Christian elite that propagated the term.

The paper overviewed the efforts of the prominent Muslim figures (e.g. Jamaluddin Al-Afghani), who realized the new doctrine more than a century ago. Those figures understood objectives of the Secularism and clarified it to the Arabic-speaking public, as it was understood in the West and contrary to what was propagated by the Arab Christian elite contemporary to Al-Afghani.

The paper included also the latest criticism of Secularism produced in the West, through discussing the terms "Fascist Secularism" and "Post-Secularism."

الكلمات المفتاحية:

"الزمكانية" – التغريب – النسبية – الدهرية

* شعبة الفلسفة–جامعة الخرطوم، معار بقسم الدعوة والثقافة، جامعة قطر: tmaza1@hotmail.com

المقدمة

مادام هنالك خلط مفاهيمي يسود ساحتنا الثقافية حول مفهوم العلمانية جراء الطبيعة الأيديولوجية للموضوع فلابد من استجلاء ذلك الغموض بدقة أكاديمية تتوخى أعلى درجات الموضوعية. ومادام مصطلح "علمانية"أضحى هو المقابل لـ"سكيولرزم" SECULARISMالإنجليزية فلابد من معرفة مفهوم الغرب لـ"سكْيُلَرِزِم". ومادام المصطلح أو المذهب غريب فلابد من معرفة ظروف دخوله إلى نسيج اللغة والثقافة العربية الإسلامية ومعرفة ما صاحب تلك العملية –عملية النقل– من ملابسات؟ ومادام يسعى الغرب حاليا لتجاوز العلمانية إلى ما بعد–العلمانية post-modernism، فلابد أن نعرف ما قدمه الغرب من نقد للعلمانية ومعرفة ملامح مابعد العلمانية. ومادام هذا الموضوع فلسفيا ومعقدا ومركبا وأضحى حيويا ونقوم بتدريسه لطلابنا من خلفيات أكاديمية متنوعة فلابد من تلخيصه و تيسيره دون خلل بمضمونه.

تهدف هذه الدراسة إلى وضع حلول لتلك الفروض، وتستخدم في ذلك منهجا تاريخيا تحليليا نقديا، وتصنف موضوع هذه الدراسة ضمن موضوعات الفلسفة الحديثة[1]. تقترح هذه الدراسة موضوعها مادة تدرس في هذا الشأن.

المصطلح في المنظور الغربي

- المصطلح بالانجليزية Secularism ويُنْطق "سكْيُولَرِزِم". نقِل بطريقة خاطئة –كما سنرى– إلى "العلمانية".
- السبب المباشر لنشأة السكيولرزم في أوربا(ما بعد القرون الوسطى)هوالتجربة الدينية التي عاشتها أوربا لألف عام بقيادة رجال الدين أومايُعْرف بـ"الإكلورس"، حيث انتهت هذه التجربة بسيطرة الكنيسة على مؤسسة الدولة والفلسفة والعلم والفن تحت ظل نظرية الغكلورس.

- نتج عن هذه السيطرة الدينية حركة **غير** دينية قادتها الفلسفة الحديثة التي امتدت في القرنين١٧و١٨
- هذه الحركة **غيرالـ**دينية قديمة وتم البدء في تطبيق برنامجها في أوروبا منذ ٤ قرون إلا أن المصطلح الانجليزي المتداول "سكيولرزم" والذي أُختير ليعبَّرعن الظاهرة في اللغة الانجليزية تم نحته حديثا بواسطة "اللاأدري"[2] ج جاكوب هوليوك.

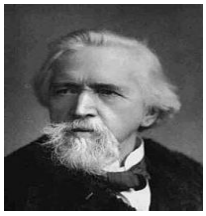

(1817–1906) George Jacob Holyoake
أول من نحت مصطلح سكيولرزم secularism

(١) لقد قدمت اطروحة ماجستير حول الخلفية الفلسفية للعلمانية قدمتها في العام ١٩٩٦ في شعبة الفلسفة جامعة الخرطوم وقد قام بنشرها مركز التنوير المعرفي في العام ٢٠٠٦، بعنوان: مفهوم العلمانية في الفكر الغربي، مركز التنوير المعرفي–الخرطوم

(٢) اللاأدرية agnosticism اعتقاد الشخص في لا شيء فيما يتعلق بوجود الله من عدمه. إذا يُجيب عن هذا السؤال بـ (لا أدري) وهو ما يُعرف بمذهب الشك skepticism ويعني استواء الادلة المتعارضة عند الباحث وهو ضرب من ضروب الكفر في العقيدة الإسلامية.

تلخيص ما ورد عن "سكيولرزم" في المراجع الغربية:

يمكن تلخيص معنى "سكيولرزم" -كما جاء في دوائر معارف وقواميس ناطقة بالانجليزية- كما يلي(٣):

- **محاربة الدين:** Anti-Religion : وقد سُمي هذا النوع بالعلمانية المتطرفةRadical Secularism. تم تطبيقها بواسطة الشيوعية وأنتجت النظام الإشتراكي وتساقط نظامها بتفكك الإتحاد السوفيتي ١٩٩٠، فماعادت موجودة.
- **تجاهل الدين** Ignoring Religion أو اللادينية Non-Religious: بمعنى "غير مُحتَفِل بدين" ويسمونها بالعلمانية المعتدلة وهي النموذج الذي بدأ تطبيقه في الدول الغربية قبل ٤ قرون وأنتج النظام الرأسمالي بل أنتج الحضارة الغربية الراهنة كما تتجلى لنا قيمها الضاغطة من خلال الإعلام والإقتصاد والسياسة والأخلاق والعلاقات الإجتماعية والفن..الخ. والعلمانية المعتدلة هي موضوع هذه الدراسة.
- في نظام "سكيولرزم" ينبغي أن يكون النظام التعليمي والتشريعي للدولة لا علاقة له بالدين.
- المعرفة Knowledge والقيم Values نسبيتان في المعنى الفلسفي للسكيولرزم. بمعنى متغيرتان بتغير الزمان والمكان. ترجع جذور هذا المعنى الفلسفي للعلمانية إلى فلسفة السوفسطائيين الذين عاشوا في بلاد اليونان قبل ٤ قرون قبل الميلاد. والمقصود بنسبية المعرفة والقيم، استبعاد الوحي مصدرا من مصادر المعرفة أو مصدرا للقيم بأنواعها المختلفة.
- هنالك فرق بين العلمانية secularism باعتبارها أيديولوجية وبين العلمنة secularization باعتبارها عملية تحول مستمر. فعلى العلماني أن يناضل ويجعل من العلمانية حالة تحول مستمر ولا يجعلها تتحول إلى موقف أيديولوجي ثابت. لأن العلمانية في جوهرها تؤمن بالنسبية المطلقة والتغيير. فالعلماني لا يؤمن بنسبية أفكار الآخرين فحسب بل يؤمن كذلك بنسبية أفكاره!
- العلماني -أحياناً- هو الملحد أو اللاأدري، ودوما هو النفعي الباحث عن اللذة الدنيوية وتجنب الألم.
- العلمانية تستند على الميكافلية والهوبزية (هوبز) والداروينة والدوركايمية والفرويدية والنفعية.
- السكيولرزم" تعني الحالة التي يعيش عليها المجتمع الغربي المعاصر. فالعلمانية دعوة لما يسمى بالتغريب Westernization
- من الناحية اللغوية فإن السكيولرزم (العلمانية)- خلافاً لما هو مُشاع- ليست مشتقة لا من العلم science ولا العالَم world؛ لأنها ترجمة لمصطلحٍ أجنبي لا علاقة له بمصطلح علم science. كما لا ينبغي أن يكون مفهوم "عالم" عند العلمانيين الغربيين متطابق مع المعنى العقدي لـ"عالم" عند المسلمين كما سيتضح لاحقا.

---

(٣) تم الرجوع إلى خمسة قواميس وستة موسوعات مختصة في هذا الشأن كما يلي:

1. A dictionary of Arts, Science Litrature and Genoeral Information V24 New York 1911.
2. Dictionary of Modern sociology, Thomas Ford Hoult
3. Dictionary of Philosophy & Religion, Eastern & Western Thought By Willam L. Reese 1980 New Jersey.
4. Encyclopedia Britannica. V20 - 1768.
5. Encyclopedia of Ethics and Religion, by James Hastngs. Printed by Moeison & Gibb Limited
6. Encyclopedia of Religion, Edited by Professor Vergilius Ferm, New York 1945.
7. Encyclopedia of the Social Sciences, by Edwin Rna.Sellg. V13 New York
8. The Encyclopedia American Volume Xx1v Copyright 1961 Shekago.
9. The New Encyclopedia Britannica, Axicropadia Volume 1x. 1768.
10. The Fontana Dictionary of Modern Thought By Alan Bullock, Oliver Stallgb and Stephen Trombley.
11. Webster's Third, New International Dictionary, U.S.A 1971

- كانت هنالك خيارات مناسبة لترجمة "سكيولرزم" خلافا لـ "علمانية" –كما سنرى– وقد اختار المترجمون الأوائل خيارات عدة لهذا المصطلح مثل: "اللادينية"، "الدنيوية"، "الزمنية= الدهرية"، الإباحية، لكن هذه الألفاظ لم تشع ربما لأنها لا تحمل دعاية ايجابية في الثقافة العربية الإسلامية.

مبتكرو مصطلح سكيولرزم:

إن هذا الإتجاه العام الذي إجتاح المجتمع الأوربي بعد نهاية القرون الوسطى، وكاد الآن أن يشمل الكرة الأرضية بأسرها، لم يكن في الواقع يسمى بمصطلح معين، فاللفظة secularism هي مصطلح قد اختير حديثا، وبالتحديد في منتصف القرن التاسع عشر ليعبر عن هذا الإتجاه. فمن الأفضل أن نتحدث عن قصة إبتكار هذا المصطلح وعن الشخص الذي اختاره والأشخاص الذين ناصروه.

لقد أوردت معظم دوائر المعارف الأوربية معلومات عن أولئك الذين إبتكروا لفظ سكيولرزم، معبرا عن ذاك الإتجاه الدنيوي الذي شهدتة أوروبا، بيد أن موسوعة الدين والأخلاق Ency. of Ethics and Religion هي التي استطاعت أن تجمع أكبر قدر من المعلومات عن أولئك الأشخاص. تقول الموسوعة اعلاه:

(إن السكيولرزم مدينة owes في اسمها وفي وجودها كعقيدة فلسفية إلى حياة جورج ج هوليوك G j Holyoake الذي ولد في برمنجهام ١٨١٧م. نشأ هوليوك نشأة دينية لكن المُناخ العام الذي ولد فيه والظروف المختلفة التي أحاطت بنشأته أيقظت فيه واحدة من أقوى العقائد السياسية والإجتماعية التي نحن بصددها، حيث انتصرت بصورة فاصلة عقب اجازة مسودة مشروع الإصلاحات الدستورية في إنجلترا في ١٨٣٢. .. إبتعد جاكوب عن الكنائس بأنواعها المختلفة لأنها في ذلك الوقت فقدت العاطفة الوجدانية من غالبية المفكرين. .في عام ١٨٤١ تخلى تماما عن إيمانه بالله وأبدى عداء مفرطا للمسيحية... إن إلحاده ضرب من اللاأدرية agnosticism.... خلال حياته الطويلة ارتبط عاطفيا بصورة أو بأخرى مع المفكرين الذين أظهروا عداءً واضحاً للدعاية المسيحية. ... لقد رحب كثيراً وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة بالإنتصار اللبرالي في الإنتخابات العامة بإنجلترا. ... توفى في ١٩٠٦م)[٤].

طليعة الحزب السكليورزمي في الغرب الناطق بالانجليزية:

تقول موسوعة الدين والأخلاق: "كان هوليوك هو القائد الفعلي لمجموعة من زملائه اسهموا جميعا بـ(تأسيس المذهب)[٥] منهم توماس كوبر Thomas Cooper وشالرس شاوس ويل Charls South Well وويليام كلتون Eilliam Chilton وتوماس بيترسون Thomas Paterson...في عام ١٨٥٠التقى هوليوك لقاء فكريا بكبير قادة الإلحاد المعلن برادلاف Bradlaugh وبعد هذا اللقاء بعام تمت صياغة ونحت المصطلح Secularism بعد تردد كثير أمام مصطلحات أُخرى إعتقدوا أنها ستكون جديرة بالتعبير عن هذه الحركة مثل مصطلح "New theism" الإيمان الجديد " أو مصطلح Limitationism " اللا مطلق"[٦].

"إن السكيولرزم وكما أراد لها هوليوك قصدت أن تفرق بين موقفه المعادي للإيمان والمتجاهل له في آن واحد، وموقف برادلاف وجماعته أصحاب النزعة الإلحادية المعلنة، وعلى الرغم من أن برادلاف وشارلس واط

(٤) Ency of Ethics and Religion P. 348.

(٥) او على الاصح ابتكار المصطلح Secularism لأن المذهب حالة موجودة

(٦) Ency. of Ethics and Religion P. 348.

CHARLES WATT وG. W. FOOTE وغيرهم من المعلنين لإلحادهم تطابقت وجهات نظرهم مع السكيولرزم واصبحوا اعضاء في هذه الحركة، إلا ان جاكوب لم يكتف بهذا فحسب بل اعلن وألح بشدة على أن الاهداف السياسية والإجتماعية والأخلاقية التي بشرت بها "سكيولرزم" ليس ضروريا أن يعمل على إنجازها الملحدون فقط، لكن اللبرالي المؤمن بالعلمانية عليه ألا يشير إلى موقفه الإيماني"[٧]

على الرغم من محاولة الجمع هذا بين المعلنين لإلحادهم والمخفين لإيمانهم إلا أننا نجد موسوعة الدين والأخلاق تؤكد: "أنه تاريخيا فإن السكيولرزم تمتزج مع الإلحاد في مجرى واحد"[٨]. تقول:

"..وعلى الرغم من (لأدرية) جاكوب إلا أنه، ولأسباب سياسية تجاهل تماما مسألة الإيمان والإلحاد، وقد أشارت الموسوعة في هذا الخصوص إلى أن الموقف الإلحادي المعلن لـ"برادلاف" أكثر اتساقا من موقف جاكوب "اللا أدري"، ذلك لأن موقف برادلاف تعززه حقيقة إن السكيولرزم تكون أكثر حيوية عندما ترتبط بالإلحاد المضاد للدين"

"In this matter Bradlaugh acted more consistently than Holyoake, and his action is confirmed by the fact that secularism was most vigorous when linked with anti-religious".[9]

إشكاليات المصطلح في الثقافة العربية الإسلامية المعاصرة:

مصطلح "**العلمانية**" مستحدث منحوت إبتدعته وأشاعته نخبة عربية مخصوصة في فترة زمنية مخصوصة وسيأتي الحديث عن الزمن والنخبة تباعا.

لغةً فإنّ مصطلح "علمانية" غير "محايد" إذ يحمل في داخله دلالته الأيدلوجية الشيء الذي جعل جلّ من يتناوله بالبحث يتناوله وهو في حالة إنتماء (إما له أو عليه). فدخل المصطلح دائرة الغرض إبتداء من عنوانه. وقد اختلفت النخبة العربية على معناه حتى بين المثقفين العرب المعتنقين له[١٠]. بل حتى بين الإسلاميين الرافضين للعلمانية كما سنرى.

عاملان أساسان يقفان خلف غموض واضطراب المصطلح:

الأول – وهو الأهم– (يتمترس) خلف "الزمرة العربية" التي عرّبت ثم أشاعت المصطلح الاجنبي (Secularism) في اللغة الإنجليزية و(Secularite أو laigue) في الفرنسية إلى "علمانية". فالنخبة المبتكرة الناشرة هي التي تتولى وزر هذا الإضراب.

أما المسؤول الثاني فإننا نرجعه إلى أصل المصطلح Secularism نفسه أعني قبل أن يُترجم إلى العربية، إذ طبيعة منشأه داخل محتضنه الأوربي وكذا الظروف التي استنبتته داخل رحم الحضارة الغربية هي سبب آخر لهذا الإضطراب. فالمصطلح في سياقه الغربي ثمرة خلفيات فلسفية متباينة وتجربة دينية خاسرة عاشتها أوربا إبّان ما عرف بعصور الظلام.

---

(٧) IBID P. 344

(٨) IBID P. 344

(٩) IBID P 344.

(١٠) زكريا، فؤاد(١٩٨٩م) الصحوة الاسلامية في ميزان العقل، ط١، دار الفكر، القاهرة، ص٣٥ يقول: (ولكن العجيب في أمر هذه الكلمة الواسعة الانتشار، أن معظم من يستخدمونها لا يستطيعون أن يحددوا لها معنى دقيقاً، بل إن المرء قد يقرؤها ويتداولها في حديثه مرات ومرات، ثم يتساءل بعد ذلك: ولكن ماذا تعني العلمانية بالضبط؟ وقد استمعت بنفسي إلى مثقفين على مستويات عالية يطلبون تحديدا وافيا لهذه الكلمة، بعد أن ضاعت المعاني في أذهانهم وتميّعت).

الإدعاء (أو العامل) الأول:

إننا وبالرجوع إلى القواميس العربية التي عرّبت اللغات الأوربية ذات الأصول اللاتينية، نستطيع وبسهولة أن نحدد متى دخل مصطلح "علمانية" إلى نسيج اللغة العربية؟ ومن هو أول شخص إبتدع ترجمته على تلك الصورة "علمانية"؟ ومن هي تلك النخبة العربية التي بشرت بالمصطلح بعد ابتداعه وأفلحت في إشاعته على الطريقة التي تريدها داخل الوسط العربي؟ إن الإجابة عن مثل هذه الأسئلة من الأهمية بمكان، فهذه المواضيع تحيط بالظروف التي أحاطت بالظاهرة ومن ثم شكّلتها إلى حيِّز الوجود. فمعرفة الشخص الذي أوجد المصطلح ومكانه وزمانه –أعني بيئته الإجتماعية وعصره الفكري الذي عاش فيه– عناصر مهمة تزيد من القدرة التحليلية لدارس مصطلح العلمانية.

مشكلة المعنى اللغوي في المصطلح "علمانية"

المصطلح عادة يكتب هكذا "**علمانية**" بلا تشكيل، وينطق "عِلْمانية" بكسر فسكون وأحيانا "عَلْمانية" بفتح فسكون ولقد أشيع على نحو خاطيء وواسع أن اللفظة في مبناها ومعناها ذات علاقة وثيقة بالعلم التجريبي Empirical Science ، بل نجد بعضهم جزم أنها في جذرها اللغوي ترجع إلى "عِلْم"[١١].

تاريخ نقل المصطلح إلى العربية:

"أول من استخدم لفظة علمانية بالعربية هو إلياس بقطر واضع المعجم العربي الصادر عام ١٨٢٨"[١٢] ولن تجد لهذه الكلمة أي مرجع قبل بقطر. وظلت الكلمة غير مستخدمة إلا "بعد قرن ونيف من الزمان". وقد عاش إلياس بقطر معظم حياته في فرنسا، وكان خبيرا لغويا للحملة الفرنسية[١٣]. ترجم بقطر اللفظة ومتعلقاتها كما يلي[١٤]: (ليس المطلوب معرفة الكلمات الأجنبية)

الكلمة الفرنسية	المقابل بالعربي حسب تقدير المترجم
Laigue	عالماني
ecclesigstigue ni religieux	لا يعطي أدنى اهتمام لكل ما هو لاهوتي أو ديني
secularite =etat de seculie	عالمانية
Seculier	الذي يعيش في عصره/ابن الجيل/عالماني/علماني

(١١) عزيز العظمة(١٩٩٢م) العلمانية من منظور مختلف، دن، بيروت، ص ١٨.

(١٢) معن زيادة(١٩٨٨م) الموسوعة الفلسفية العربية،ج٢، ط١، معهد الانماء العربي، بيروت، ص ٩١٤

(١٣) فرج، السيد احمد(١٩٩٣م) الجذور التاريخية للصراع بين العلمانية والإسلام في مصر، دار الوفاء ص ١٣٧، ستجد من سماه لويس بقطر بدلاً عن إلياس.

(١٤) Ellious Bocthor Eqyptien - Dicionaire Francais - Arab P 430 – 747.

وهكذا فإن "علمانية" برسمها المعاصر تجد مشروعيتها عند "بقطر" فهو أول من نحتها.

جاء قاموس آخر بعنوان "القواعد الأدبية في اللغتين الفرنساوية والعربية" للبناني يوسف يعقوب جبيش (طبعة ١٨٩٠م) ويبدو أنه إعتمد على قاموس بقطر – فنقل ترجمته كما هي[١٥].

لكن في العام ١٩٠٥م صدر قاموس مصري لصاحبه القاضي محمد النجاري بك، وقد اختلف تماما مع من سبقه، فلم يورِد لا علمانية ولا عالمانية، بل أورد ما يلي:

Seculier	خاص بالقرن، جيلي
Secularite	دنيوية
Seculier	دنيوي
Seculariser v,a	حلّ (أباح)
Vieseculiere	عيشة دنيوية أو مباحة
Seculierement adv	دنيويا

واضح أن القاضي النجاري قد أهمل تماما ترجمة بقطر فذكر أن اللفظة المعنية تجد لها مقابلا في العربية هو الدنيوية أو "الإباحية" أو تلك المفاهيم التي تتعلق بمفهوم "الزمن" أي "الدهر"، وقد لمس النجاري الحقيقة حسبما نعتقد وكما سنبرهن لاحقا. ومن المؤكد أن اللفظة ظلت مهملة لأكثر من قرن كما أشرنا، ولم تدخل مرحلة النشر الدعائي كما هو الآن إلا في منتصف القرن العشرين، حيث تم ربطها بمفهوم العلم Science الذي تجله مصادر الثقافة العربية الإسلامية.

إن المقترح (علمانية) ترجمة غير دقيقة –إن لم تكن خاطئة– لكلمة Secularism الإنجليزية المتولدة من اللفظة اللاتينية saeculum أو الفرنسيةsecularite أو laicite المشتقة من اليونانية laikos. وهكذا ودون التوقف عند دلالة "علمانية" نجد أن الوسط الثقافي العربي قد غُمِر منذ نهايات القرن العشرين بقواميس ومقالات لا حصر لها، تستخدم لفظ (علمانية) دون غيرها وخاصة تلك القواميس التي صدرت وما زالت تصدر عن شوام لبنان كما سنرى.

إن الفعل من الكلمة الإنجليزية Secularism هو Secularize تُرجم إلى "يُعلمن" والصفة منه Secular فقد ترجمت إلى "علماني" والعملية نفسها Secularization ترجمت إلى"العلمنة" أما الشخص الذي يؤمن بمذهب الـ Secularism فهو الـSecularist فقد ترجم إلى العلماني.

إن اللفظ العربي "علماني" (بالكسر) من المفترض في القاموس العربي أن يكون منسوباً لـ"عِلْم" الذي يفهمه اللسان العربي المعاصر بمعنى Science في اللغة الإنجليزية، والمذهب الشائع عند اللغويين العرب (قدامى ومحدثين) هو أن يكون منسوب "عِلْم" "علمي"، ولكن ذهب المتأخرون منهم ونسبوا أحيانا على غير القياس، حيث أضافوا ألفاً ونونا حينما نسبوا –على سبيل المثال– "بحراني" إلى "بحر" بدلاً عن "بحري" و"روحاني" إلى "روح" بدلاً عن "روحي"و "جساني" إلى "جسم" بدلاً عن "جسمي" و"نوراني" إلى "نور" بدلاً عن "نوري" وعليه، يكون النسب سليماً – على غير ما هو شائع في اللغة العربية– أن ننسب"عِلْماني" إلى "عِلم" ويستفاد من ذلك صفة زائدة على اللفظة هي المبالغة كما ذكر سيبويه في "الكتاب"[١٦]، إذ أن الزيادة في الألف والنون على اسم الجنس تدل على الزيادة في اصل الحقيقة أو المبالغة

(١٥) المجلد الأول انظر مادة Seculier باللغة الفرنسية.

(١٦) سيبويه، عمرو بن عثمان(١٣١٧هـ) الكتاب، ج١، طبعة بولاق، مصر، ص ٨٩.

فيها وعليه فإن النظرة الأولى لمصطلح "عِلْمانية" يجر الشخص شاء أم لم يشأ إلى مفهوم "العِلْم" على المستوى اللغوي وليس على مستوى الإتفاق الشكلي فحسب. وهو المطلوب عند المؤمنين بالعلمانية الذين يرغبون في نشرها ويجتهدون في الدعاية لها.

من الذين أشاعوا لفظ "علمانية" في الوطن العربي دون غيرها؟

وبالنظر المدقق الي كلمة "علمانية" يتضح لنا –كما سندلل– أن مثقفي الشوام هم الذين روجوا لهذا المصطلح خاصة أن "علمانية" لم تكن الاختيار الوحيد لـ"بقطر" ولكنها صادفت هوى كبيراً لديهم سيما وهم الذين برعوا في ابتداع ألفاظ لم تشع بين أوائل اللغويين العرب، مثل "شخصانية""عقلانية" من عقل[١٧]، فلماذا لا تكون "علمانية" من "علم"؟ وهكذا فقد التقطوها دون غيرها من الألفاظ العربية التي وردت شارحة للمصطلح الأجنبي وتجاهلوا كذلك قاموس القاضي النجّاري الذي تجاهل علمانية.

بهذا فقد حددنا الشخص الذي أوجد المصطلح وزمانه (العصر الذي عاش فيه) ومكانه (الذي عاش فيه)، وإليك المزيد عن النخبة التي أسهمت بقدر كبير في إشاعة المصطلح الخطأ والترويج له.

الهوية الثقافية للنخبة التي نشرت علمانية بين العرب:

إذا تساءلنا عن الخلفية الثقافية والهوية الدينية لهذه النخبة فقد أكدت المصادر[١٨] على أنهم مجموعة من المثقفين العرب الذين ارتضوا المسيحية دينا والحضارة الغربية وقيمها هوية ثقافية. إنهم يمثلون مجموعة منتقاة من المسيحيين العرب الذين تلقوا تعليما عالياً في مدارس الإرساليات التبشيرية التي جاءت مع الاستعمار إلى الوطن العربي، ثم أُتيحت لهم الفرصة فواصلوا تعليمهم العالي داخل أوربا الغربية، وعاشوا بحواسهم كيف تُشكّل أوربا الحديثة وكيف تُصنع الحضارة الجديدة، فانصهروا في المجتمع الغربي وشاركوا فيه لأنهم لم يشعروا بغربة – نتيجة لخلفيتهم الدينية المسيحية– داخل هذا الكل الثقافي الشامل الذي يُعرف بالحضارة الغربية.

إن هذا الموقف الذي نقفه من تلك النخبة ولخصناه في الفقرة أعلاه هو ذات الموقف الذي عبَّرت عنه –و بشيء من التفصيل والإسهاب– كُتّاب الموسوعة الفلسفية العربية الصادرة عن معهد الإنماء العربي بلبنان؛ وهي ضمن المصادر الأساس لما يسمى بـ"العلمانيين" العرب. إذ جاء فيها بعد أن قسّمت ما أسمتهم بـ"العلمانيين" المعاصرين–داخل الوطن العربي– إلى مسيحيين ومسلمين واعتبرت أن المسيحيين هم خير من رفع لواء "العلمانية" وبشر بها. تقول الموسوعة:

(...فالعلمانية المسيحية التي قادها رجال فكر مسيحيون قد نشأت ضمن ظروف خاصة وتلبية لحاجات نفسية واجتماعية وسياسية مختلفة. فالفكر المسيحي كان في أحيان كثيرة يشعر بغربته عن هذا المحيط الشامل[١٩]، ويرتد إلى البحث عن وطن أصغر يقابل الإمبراطورية العثمانية [٢٠] وذلك تعبيراً عن عدم استطاعة المفكر المسيحي القَبول بوطن هُويته الإسلام وإيماناً منه بوطن يكون الولاء فيه لا للدين بل للقيم الوطنية والإجتماعية والإنسانية).

---

(١٧) النجار، حسين فوزي(١٩٩٠م) الدولة والحكم في الاسلام، دار الحرية القاهرة ، ص ١٣.

(١٨) معن زيادة، الموسوعة الفلسفيه العربية، مرجع سابق، ص٩١٤ (هذه الموسوعة يحررها عرب علمانيون لذا فهي من أهم المراجع) .

(١٩) المقصود بالمحيط الشامل هو محيط الثقافة التي يحكمها الإسلام.

(٢٠) وهذه –فيما نعلم– هي البداية الفكرية لتفكيك الدولة الإسلامية الواحدة وإقامة الدولة القطرية القومية بديلا عنها.

وعن الخلفية الفكرية لهذه النخبة تساءلت الموسوعة أجابت:

(.... ما هي الخلفية التي كانت وراء اطروحات العلمانيين المسيحيين؟... كان هؤلاء في طليعة الفئات التي استطاعت وقبل سواها من المسلمين تحقيق بعض السبق في تحصيل العلوم، وذلك لأسباب أهمها إنتشار التعليم في أوساطهم بفضل المدارس التي أسسها المبشرون والإرساليات الأجنبية، وكان نمط التعليم في هذه المدارس مغايراً لما كان سائداً في المدارس الدينية الإسلامية؛ إذ دخلت الأساليب الحديثة، وكان تعليم اللغات الفرنسية والإنجليزية حافزاً كبيراً، مكّن هؤلاء من الإطلاع على الفكر الغربي في مصادره الأصلية، فتعمّقت بذلك الصلة بين هؤلاء المفكرين وبين آخر النظريات الإجتماعية والإقتصادية والسياسية التي كانت أوربا مسرحا لها في تلك الفترات) (أدت هذه الخلفية إلى توثيق الصلة بين المفكرين المسيحيين والغرب فلم يعد الغرب مخيفاً بالنسبة لهم بقدر ما صار عالماً يجب الأخذ بقيمه وعلومه، ولم تعد الهجرة إلى الغرب عامل سلب أو اغتراب، كما كانت لقرنائهم من المفكرين المسلمين، بل أصبحت الهجرة حافزا للتزود بالمزيد من العلوم والفنون).

(كان توجه التيار المسيحي العلماني توجها إجتماعيا إنسانيا، ولم تكن النظرة إلى التراث نظرة إلى العصور الإسلامية وتطوراتها، بل إلى هذا التراث كحضارة لا تاريخ صنعه الإسلام في كل أبعاده.)

ويتواصل تشخيص هذا الاتجاه بمزيد من الإسهاب في المقال الذي كتبه جورج كتورة "بعنوان العلمانية في الفكر العربي" متحدثاً عن ذات الإتجاه الذي سماه "العلماني المسيحي":

(فرض هذا الإتجاه العلماني –المسيحي– نظرة تجديدية للمجتمع ترتكز على مقومات سياسية ومعرفية جديدة فالنظرة الإصلاحية التي رأت التجديد من خلال الدين، أي من حيث تحديثه لفتح باب الاجتهاد مثلاً أو من خلال الإقتداء به اقتداءً تاماً وبعث عصره الذهبي أو كتلك الدعوات السلفية، معظم هذه الدعوات بدت للعلمانيين المسيحيين نظرات حذرة وذلك لسببين: الأول قد لا تعنيهم لأنهم ليسوا مسلمين وبالتالي لا يستطيعون الإسهام من ضمن هذا الإطار، والسبب الآخر لقد رأوا في مثل هذه الدعوات توجهاً نحو الماضي أكثر مما هو توجه مستقبلي، وبالتالي لابدَّ من اختيار بديل، والبديل كان اللحاق بالتقدم الأوربي ولذلك طريق واحد هو الطريق الذي سارت عليه أوربا، لذلك نجد المصدر الفكري لهؤلاء العلمانيين المسيحيين أفكار المتنورين الأوربيين وعلماء الإجتماع أمثال أوغست كونت، وسبنسر وداروين وسواهم)[٢١]

لماذا أشيعت علمانية دون غيرها؟:

لقد ذكرنا سابقا أن المترجم العربي ترجم "سكيولرزم" الأجنبية إلى "علمانية" دون أن يشير صراحة إلى أنها مصدر "علمscience " ولقد أثبتنا كذلك أن مصدر "علمانية" –وفق هذا الرسم– هو الأقرب إلى العِلم دون سواه من المصطلحات، والعلم ضد الجهل كما هو معلوم في اللغة العربية. إن المترجم، في تقديرنا، أراد هذا المعنى... أراد أن يقول– مخاطبا الضمير واللسان العربي– إن عقيدة "السكيولرزم" تطابق لغةً ومفهوما "العلم" الذي الذي تجلته المصادر الأولى للثقافةالإسلامية. يقول الله: ﴿ ...قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾[٢٢] وغيرها من الآيات

(٢١) معن زيادة، الموسوعة الفلسفيه العربية، مرجع سابق، ص٩١٤.

(٢٢) سورة الزمر، الآية ٩.

والأحاديث النبوية والآثار الإسلامية التي ترفع من شأن العلم والعلماء.

والناظر إلى مصطلح science "علم" في قواميس ودوائر معارف اللغة الإنجليزية لا يجد له علاقة لغوية بـ"السكيولرزم"، ونشك أن يوجد باحث لغوي مبتدئ يجهل هذين المصطلحين إلى درجة أن يخلط بينهما. إن هدف المروجين وفق هذا الرسم الإصطلاحي لا تخطئه العين بل إن هذا الاختيار لكلمة "علمانية" نحسب أنه لم يأتِ مصادفة وإنما تم وفق خطة محسوبة وعناية مدبرة، فقد أريد للمصطلح أن يحمل دعايته الإعلامية في أحشائه، لذلك فقد أرادوا "للعلمانية" أن تكون منسوب "علم" بإضافة ألف ونون، وتركوا حرف "عين" "علمانية" بلا تشكيل لتكون هذه الألف والنون للمبالغة والاستحسان، وأن يكون ترك تشكيل حرف العين من جهة أخرى لمزيد من التضليل والإبهام.

علمانية ليست من العلم ولا العالم:

بعد توالي البحوث المعاصرة، إتضح أن اللفظة ليست لها علاقة لغوية بالعِلْم، حيث ذهب نفر كبير من الكتاب على أن المصطلح "علمانية " ليس بكسر العين إنما بفتحها، وقالوا إن مصدرها هو "العالم" أي من العَلْم[٢٣]، وهؤلاء منهم المتحزبون ضدها وبعض المؤمنين بها. وعلى الرغم من أن "سكيولرزم" في المعاجم الأجنبية تشير ضمن إشارات أخرى إلى معنى "هذا العالم الآني المشاهد" "this world"، وهي على هذا الأساس "ربما قيل" إنها تقابل المصطلح العربي"عالم"، خاصة حينما يعرّفه الجرجاني بأنه –أي العالم–: (عبارة عن كل ما سوى الله من الموجودات)[٢٤] ، ولكن ما غاب عن الطرفين –كما نظن– أن "عالم" الجرجاني –الذي يعبِّر بشمول تام عن مفهوم "عالم" في المصادر العلوية للفكر العقائدي الإسلامي– لا يتطابق مع مفهوم "world " عند ثقاة الغربيين العلمانيين. إذ أن "كل ما سوى الله" يتضمن عوالم غيبية (متافيزيقية) كعالم الملائكة والجن والشياطين والجنة والنار الخ. فهذه العوالم الروحية الغيبية لا تدخل ضمن مفهوم عالم عند العلمانيين. أعني إن العالم الذي تهتم به العلمانية وتسعى لتفسيره هو خلاف العالم الذي يشغل بال المسلمين.

البدايل اللغوية الممكنة لعلمانية في اللغة العربية :

أولا : الدنيوية

هنالك مصطلحات عربية أخرى كـ"الدنيا" مثلا هي الأقرب في دلالتها إلى world ضمن سياق Secularism وهذا هو مدار تحفظنا الآحر على مقابلة "عالم" العربية بـ world الإنجليزية.

لم ينتشر مصطلح "الدنيوية" رغم جدارته.خصوصا وقد رأينا أن القاضي المصري محمد بك النجاري قد فطن له منذ أكثر من قرن(١٩٠٥) فقابل "سكيلرزم" بمصطلح "الدنيا" أو الزمنية (الدهر) أو الإباحية أو اللادينية ثم وجدنا لفيفا من مفكري هذه الأمة نحوا نحوه كالعقاد الذي تابعه المعاصر بروفسر العطّاس لاحقا وغيرهما فاختاروا الدنيوية[٢٥]. لكن المفارقة هي انتشار المصطلح "الغامض" "علمانية" مع خطئه.

---

(٢٣) العرمابي، محمد زين الهادي(١٤٠٧هـ) نشأة العلمانية ودخولها المجتمع الاسلامي، دار العصمة، الرياض، ص٢٢، القرضاوي، يوسف (١٩٩٧م) الإسلام والعلمانية وجها لوجه، مكتبة وهبة، مصر.

(٢٤) الجرجاني، علي بن محمد(د.ت) التعريفات، تحقيق: عبد المنعم الحقي، دارالرشاد، ص ١٦٧

(٢٥) العقاد، عباس محمود (د.ت) الاسلام في القرن العشرين ، كتاب الهلال رقم ١٠٨، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص١٥٨. Al-attas, mohammad naqib(1995) Prolegomena to the Metaphysics of Islam , Istac, KL (مقدمة للماورائيات من منظور إسلامي).

ماذا عن مصطلح دهـرية:

هل في إمكاننا أن نجد مصطلحا مذهبياً معلومـا داخـل ثقافتنا العربية يقابل أو يقارب مصـطلح "سـكيولرزم" الأجنبي في لغته وبيئته. لقد لاحظت أن كثيرًا من الكتاب الذين كتبوا عن تاريخ دخـول "علمانيـة" فـي نسـيج الخطاب الثقافي العربي يجمعون على أن المصطلح لـم يكن مستخدما في الخطـاب الثقـافي ولا السياسـي، ولا الديني، حتى منتصف القرن العشرين، ولم أجد ما يخالف هذا الزعم. لكن نحسب أن جمال الدين الأفغاني ١٨٣٨-١٨٩٧(أحد أهم رواد العمل السياسـي الإسـلامي) قـد استخدم في خطابه الـدعوى مصطلحاً معروفا عنـد العرب لا يمكن تجاهلـه فـي هذاالشـأن خاصـة وان الأفـغاني يستخدمه في مواجهة مـن وصـفهم **بـدعاة التغريب** Westernization، ومن جهة أخرى يصـفهم بالدهريين.

والتغريب و"الزمنية" هي معاني أصيلة للسكيولرزم كما أشرنا.

يكتب جمال الدين الأفغاني قبل قرن، في "عروته الوثقى" مقالاً بعنوان"الدهريون في الهند" جاء فيه:

(وكتب أحمد خان تفسيراً عن القرآن، فحرَّف الكلِم عـن مواضعه، وبدّل ما أنزل الله، وجهر بالدعوة لخلع الأديان كافة، ولكن لا يدعو إلا المسـلمين، ونـادى: الطبيعـة الطبيعة لِيُوَسْوِس للناس بأن أوربا ما تقدّمت في المدنية، وما ارتقت في العلم والصنعة، ومـا فاقـت فـي القـوة والإقتدار، إلا برفض الأديان).

ويصف حال الأمة العثمانية في رسـالته (الـرد علـى الدهريين):

"..إنما وهن حالها في الأزمنة المتـأخرة بمـا دبّ فـي نفوس بعض عظمائها وأمرائها من وساوس "الـدهريين"، فانّ القواد الذين اجتروا اسم الخيانة في الحرب الأخيـرة بينها وبين الروسية كانوا يذهبون مذهب "النيتشريين"[٢٦] يعني بالنتشريين الطبيعيين Naturalist أو العلمانيين.

إن الأفغاني يواجه دعاة آمنوا بنظرية الحضارة الغربيـة في فهم الكون والحياة وذلك منذ نهايات القـرن التاسـع عشر، بل ويؤمنون كذلك، أن أمتهم لـن تبلـغ مرحلـة الوعي إلا بذات المنهج المتكامل الذي ارتضـته أوربـا هاديا لها، ولعلنا لسنا في حاجة إلـى الإشـارة أن هـذا المنهج الثقافي المعرفي الأوربي هو منهج "السكيولرزم". كما أننا في غنى عن القـول إن جمـال الـدين حينمـا يخاطب أعداءه في داخل أمته ويصفهم بـ"الدهريين" إنما يقصد العلمانيين. إذًا هل في مقـدورنا أن نقابـل بـين المصطلح العقدي المعروف لدى أمة القـرآن "دهريـة" والمصطلح الغربي "سكيولرزم" الذي يجد مرجعيته فـي أمة اليونان؟ وبالتالي يكون الأفغاني هو أول من وضـع المصطلح "سكيولرزم" في إطاره العربي الصحيح، بـل وأول من استخدمه على مستوى العالم العربي الإسلامي.

إن مصطلح "الدهرية" مـن أعـرق المصـطلحات ذات الطبيعة العقدية، فـ"الدهرية" نسبة إلى الدهر وهو الزمان المهلك الذي لا ينتهي[٢٧]، ومصطلح "دهـريين" حينمـا استخدمه القرآن -قبل الأفغاني-، كان يعني بـه "أولئـك

([٢٦]) الأفـغاني، جمال الدين(د.ت) الأعمال الكاملة، أعده: محمد عمارة، المؤسسة المصرية العامة، انظر رسالة:الرد على الدهريين، ص١٦٣.

([٢٧]) دائـرة المعارف الإسلامية (د.ت) تأليف أئمة المستشرقين في العالم أصدرها بالعربية أحمد الشنتناوي وإبراهيم زكي خورشيد وعبد الحميد يونس، راجعها د.محمد مهدي ج٩ ، د.ن مادة "دهر" .

الذين لا يؤمنون إلا بالحياة الآنية الحاضرة ويكفرون بالآخرة وملحقاتها ". جاء في القرآن ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾ [٢٨]} ويقول الإمام الغزالي:

(الدهريون وهم طائفة من الأقدمين جحدوا الصانع المدبر، العالم القادر، وزعموا أن العالم لم يزل موجوداً كذلك بنفسه لا بصانع، ولم يزل الحيوان من النطفة والنطفة من الحيوان كذلك كان، وكذلك يكون أبداً وهؤلاء هم الزنادقة)[٢٩]

أما الشهرستاني في الملل والنحل يقول عنهم: "إنهم معطلة لا اعتقاد لهم بشيء، ولا يؤمنون بالميعاد وينكرون كل ما وراء المحسوس)[٣٠] ، وبهذا يكون الشهرستاني قد جمع بين "اللاأدرية" الحديثة، والإلحاد والمادية. أما الجاحظ في كتابه الحيوان يقول عنهم: "إنهم ينكرون الخالق والنبوات، والبعث والثواب والعقاب ويردون كل شئ إلى فعل الأفلاك ولا يعرفون خيرا ولا شرا سوى اللذة والمنفعة"[٣١]. وهكذا تكلم الجاحظ عن العلمانية حين ربط مفهوم الخير والشر بمفهوم اللذة والألم الماديتان. ويقول المستشرق دي بور: "والقول بالدهر أصبح بمرور الزمان في نظر المسلمين مساويا لإنكار الألوهية والحياة الآخرة أو القول بالمادية مع إنكار الخالق والقول بقدم العالم".[٣٢]

وهكذا إنك لتصاب بالدهشة حينما تعلم أول أو أقرب معاني السكيولرزم في القواميس الأجنبية تنطوي على معنى الزمان أو الدهر، بل حتى الأكاديميين العرب الذين يعلنون انتماءهم "للسكيولرزم" يثبتون أنها تعني الزمانية دون سواها من المعاني. يقول أحد دعاتها في الوطن العربي: (... لو شئنا الدقة الكاملة نقول أن الترجمة الصحيحة للكلمة هي "الزمانية")[٣٣]. ثم يستنتج –وهو على حق–: "فالعلمانية إذًا ترتبط في اللغات الأجنبية، بالأمور الزمنية، أي بما يحدث في هذا العالم، وعلى هذه الأرض، في مقابل الأمور الروحانية التي تتعلق أساسا بالعالم الآخر"[٣٤].

إذا لماذا لم تشع ألفاظ مثل الدنيوية والدهرية والاباحية واللادينية ..الخ؟ السبب في ذلك يرجع في رأينا إلى أن النخبة التي اختارت "علمانية" مصطلحا مذهبيا لها، هي ذات النخبة التي سيطرت على الآلة الإعلامية –في الوطن العربي– ومؤسسات الدولة الثقافية والتعليمية المختلفة وذلك عقب خروج المستعمر. إن هؤلاء أرادوا أن ينتصروا لمذهب "السكيولرزم" الغربية، ذات الجذور الفلسفية–الوثنية المادية. فاستخدموا من أجل هذا الإنتصار وسائل شتى. ولا يخفى على فطنة القاريء أن المصطلح المنتقى (علمانية) يحمل دعايته في أحشائه، وأريد له أن يكون ضمن وسائل هذا الإنتصار.

العلمانية والعلم:

ولعل الذي شجع هذه النخبة على الذهاب إلى هذا المذهب هو أن العلم التجريبي قد إزدهر بالفعل داخل نسيج ثقافة آمنت فعلاً بعقيدة السكيولرزم، وهي الثقافة الأوربية

([٢٨]) سورة الجاثية، الآية ٢٣، وتكملتها{... وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ}.

([٢٩]) الغزالي، أبو حامد (د.ت) المنقذ من الضلال، تحقيق محمد محمد جابر، المكتبة الثقافية، بيروت، ص١٨.

([٣٠]) الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم(١٣٤٧هـ) الملل والنحل، تحقيق: محمد كيلاني، ج٢، القاهرة.

([٣١]) الجاحظ، عمرو بن بحر(١٣٢٥هـ) الحيوان ، ج٣٧، القاهرة .

([٣٢]) دي بور(١٩٥٧م) تاريخ الفلسفة في الإسلام، نقله الى العربية وعلّق عليه: د. محمد عبد الهادي ابو ريدة، لجنة التاليف والترجمة والنشر القاهرة، ص١٥٣، وانظر كذلك مادة دهرية في دائرة المعارف الإسلامية، مرجع سابق.

([٣٣]) زكريا ، الصحوة الإسلامية في ميزان العقل، فصل العلمانية ضرورة حضارية، مرجع سابق، ص٤٥.

([٣٤]) المرجع السابق، ص٤٥

المعاصرة، وهذه حقيقة لا ينكرها إلا مكابر، فالعلم التجريبي الذي يسعى الآن في تحقيق ما يعرف بالثورة التحكمية الشاملة للكون هو بلا جدال ثمرة من ثمرات حضارة آمنت بـ"السكيولرزم". ولعل ذلك كذلك هو الذي برر لكثيرين من دعاة "السكيولرزم" العرب –بعد أن لاحظوا خطأ المقابلة بين "سكيولرزم" secularism وعلم science على المستوى اللغوي– أن يذهبوا إلى أن المصطلح الغربي إن اختلف لغوياً إلا أن مفهومه العام ذي صلة قوية بالعلم ومنهجه. فهذا هو جورج طرابيشي يذهب هذا المذهب فيقول –بعد أن أمّن على نفي الصلة اللغوية بين علمانية وعلم –: (..ولكن ليس من قبيل الصدفة أن تذهب الأذهان إلى العلم عند ذكر العلمانية، فما ذلك لتشابه في اللفظ، بل كذلك للصلة المضمونية، فالعلماني بالإجمال هو من يأخذ بالتصور العلمي للعالم في مقابل التصور الديني)[٣٥] .

وعلى ذات النهج يقول فؤاد زكريا: "..إن الضجة التي أثيرت حول استخلاص كلمة العلمانية من العالم أو من العلم هي ضجة مبالغ فيها، لأن كلاً من المعنيين لابد أن يؤدي إلى الآخر".[٣٦]

وحتى هذه النتيجة التي خلصوا إليها –و هم يربطون بين المصطلحين على مستوى المفهوم ويفصلون بينهما على مستوى المنطوق– لا نقبلها على إطلاقها، وحجتنا في ذلك أن العلم التجريبي المعاصر هو ثمرة للمنهج الإستقرائي الذي قبلته النظرة الفلسفية الكلية التي ندعوها بـ"السكيولرزم" ولكنها فسرت نتائجه ضمن بعدها الأحادي الفلسفي الذي ينكر الآخرة وملحقاتها فضلا عن ذلك هنالك إفرازات أخرى "للسكيولرزم" في مجالات الحياة، مثل الأدب والفن والقيم بل وحتى الأديان. فالعالمانية دين من الأديان وليس صحيحا كما زعموا أن السكيولرزميSecularist هو دائما ذلك الذي يتبع المنهج العلمي في كل شعاب حياته، بل حتى في نظرته تجاه الكون وقضاياه فالواقع يخبرنا غير ذلك، فقد آمنوا بالداروينية دينا بلا سند علمي. ومنهم من اخترع له دينا سماه بالدين الطبيعيNatural Religion إذ أنهم حينما اخترعوا ذلك "الدين الطبيعي"، لم يتبعوا منهجا ولا منطقا علميا؛ وإنما أحدثوا ذلك لحاجة روحية تطاولت على المنهج الذي زعموا الالتزام به، أو لعله نكاية خاصة بالمسيحية والأديان السماوية على وجه العموم. ونحن حينما نعترف بفضل العلم الطبيعي ونقول إن منجزاته الحاضرة –لا منهجه– إستغل في نشر إفراز الرؤية "السكيولرزمية" العامة، ولا يشك عاقل أن العلمانية أفرزت إفرازات أخرى في مجال الحياة، بل تبرعت في الإجابة عن قضايا ليس معني بها العلم التجريبي. إذاً فالعلمانية أوسع من العلم، إنها تستوعبه ولا يستوعبها[٣٧].

ثم من قال إن من يؤمن بدين سليم غير منحرف يرفض منهج العلم الاستقرائي الذي صدرته الحضارة الإسلامية للغرب كما يعترف بهذا علماء الغرب أنفسهم. ولا يعني عجزنا عن استغلال الطبيعة بما يكفي أننا نرفض منهج الاستغلال.

الخاتمة:

لم تنجح العلمانية في تحقيق أهدافها المعلنة وهي إستبعاد الدين عن حياة الناس وعن تفكيرهم ولم تحقق السعادة للعالم. لذا ظهرت في الغرب الآن بوضوح الدعوة إلى: ما بعد العلمانية post-Secularism (مصطلح سكة جون

(٣٥) معن زيادة، الموسوعة الفلسفيه العربية، مرجع سابق، ص٩١٤.

(٣٦) زكريا، الصحوة الإسلامية في ميزان العقل، فصل: العلمانية ضرورة حضارية، مرجع سابق، ص ٤٦.

(٣٧) The History of Western Philosophy P13 London 1979

كين) ومعناه المباشر "نهاية العلمانية" وليس هنالك نقد أبلغ من هذا. ولعل الناظر الناقد نظر إلى الواقع الذي سادته العلمانية فوجد هتلر وستالين وهيروشيما والنظام العالمي الجديد والعنصرية والفاشية والأبرتايد وفلسطين..الخ. كما رأى الشرور متزايدة والظلم واضح والحرب والفقر والجهل والكراهية القائمة على العنصرية مستمرة. كما سيجد القيم وحق الحياة منتهكة والضعيف يستعبده القوي بالقانون(حق الفيتو). وأهم من هذا فقد لاحظ الناقد أن الناس –من خلال مسيرة ٤قرون– لم يتخلوا عن الأديان سواء صحيحة أو محرفة. بل لن ينجح أحد في انتخابات رئاسة الولايات المتحدة دون دعم ديني من الكنيسة. كما لاحظ وصول أحزاب للسلطة تحمل مسميات دينية مسيحية. وبالنظر إلى كل هذا والمآسي التي شكّلت معضلة الإنسان المعاصر رأى نفر من الغربيين لابد من البحث عن حلول لا تستبعد الدين وهذا هو مضمون "ما بعد العلمانية".

وأسوأ نقد ساقه الغربيون ضد العلمانية في عالمنا الإسلامي ما أُصطُلِح عليه "غربيا" بالعلمانية الفاشية (Fascist Secularism). والمقصود بـ"العلمانية الفاشية" العلمانية المحمية بالمؤسسة العسكرية حينما ترغب الارادة الشعبية في الثورة عليها. وقد أشاروا إلى تركيا(أتاتورك)مثالا للعلمانية الفاشية الذي عرفه العالم الحديث. وبالنظر إلى حالتنا العربية الراهنة واستغلال الجيش في انهاء ارادة الناخبين الذين لا يرغبون في العلمانية يمكننا أن نضيف مصر وسوريا والجزائر.

النتائج:

١. العلمانية ترجمة خاطئة للمصطلح سكيولرزمSecularism موضوع البحث.
٢. أول من وضع العلمانية، مقابلا للمذهب المعني، نصراني مصري إرتبط بالإستعمار الحديث، إذ جاء مع حملة نابليون ورجع معها!
٣. أول من أشاع هذا المصطلح ورسخه عند الناطقين بالعربية نخبة نصرانية ناطقة بالعربية تلقت تعليما غربيا أشرف علية المبشرون المسيحيون الذين جاءوا مع الاستعمار. سواء تم هذا التعليم في البلاد العربية أو خارجها.
٤. المصطلح المعني –في مفهومه اللغوي والمفاهيمي– لا يرجع للعلم science وإرجاعه –من قِبَل النخبة العربية المعاصرة– إلى"العالم" فيه خلط عجيب بسبب اختلاف المصطلحين. فـ"العالم" عند المسلمين لا يتطابق ومفهوم العالم عند العلمانيين الغربيين.
٥. للعلمانية الغربية مفهومان مباشران: ضد الدين Anti-Religion وتسمى بالعلمانية المعتدلة ولا ديني أو غير محتفل بدين Non-Religious وتسمى بالعلمانية المعتدلة وكلاهما يتناقضان مع مضمون العقيدة الإسلامية والإيمان.
٦. العلمانية المعتدلة لا تشترط إعلان عدم الإيمان بالله لاعضائها المنتمين لها الراغبين في تنفيذ برامجها بينما تشترط عليهم عدم التحدث بإيمانهم للعامة.
٧. من الممكن إعتماد الدنيوية أو اللادينية أو الدهرية مقابلا للعلمانية ويفضل الباحث إعتماد "السكيولرزم".
٨. أول من هاجم التيار العلماني وسماه باسمه الحقيقي هو جمال الدين الأفغاني.
٩. العلمانية مذهب فلسفي إستمد جذوره من الفلسفات اليونانية القديمة –السوفسطائية تحديدا– والتي تؤمن بنسبية المعرفة ونسبية القيم.
١٠. عملية "العلمنة" Secularization خلاف "العلمانية" Secularism، فالأولى عملية مستمرة شعارها التغيير المستمر، بينما "العلمانية" مذهب يحمل معنى الثبات والأيديولوجيا لأنها مذهب ومن هنا يكمن التناقض.

١١. فشلت العلمانية في تحقيق أهدافها المعلنة وهي: استبعاد الدين عن قلوب الناس، حل مشكلة الفقر والحرب والجهل والمرض وهذا. أُعلِن هذا الفشل باعتراف نفر من زعمائها المفكرين ولهذا ابتكروا مصطلح "مابعد العلمانية"Post-Modernism

١٢. "مابعد العلمانية" لا علاقة له بالعلمانية بل هو مذهب معاكس لها ومعلنا لفشلها.

١٣. "مابعد العلمانية" قبلت الدين باعتباره مسهما في حل المعضلة الإنسانية على الأرض كما قبلت غيره من الحلول بشرط ألا يتم فرض هذه الحلول على الناس بالاكراه بل عن طريق الأغلبية.

١٤. "العلمانيات" المطبقة في البلاد العربية الإسلامية لم يتم اختيارها بواسطة أغلبية هذه الشعوب بل هي علمانيات مفروضة أو مسنودة بواسطة الجيوش وهذا النوع من العلمانيات يُسمى بالعلمانية الفاشية (Fascist Secularism).

التوصيات:

- يرى الباحث ضرورة أن يدرس جميع طلاب جامعات البلاد العربية موضوع العلمانية ضمن برنامج البكلاريوس.
- من خلال تجربة عشرين عاما في تدريس المقررات الثقافية دراسة مقارنة بين الفكر الغربي والفكر الإسلامي يرى الباحث أن محاورهذا البحث هي المحاور المناسبة للمادة المقررة لتدريس هذا الموضوع لطلاب مقرر الثقافة الإسلامية. ومن أهم المحاور التي ينبغي أن يلم بها طلاب البكلاريوس وأهم محور أبانته هذه الدراسة –كما يرى الباحث– إبراز جهود الأقليات النصرانية في نقل الفكر الغربي عامة والعلماني خاصة إلى البلاد العربية الإسلامية وما زال هذا الجهد مستمرا.
- ينبغي تصحيح المفهوم الخاطيء السائد والذي تكاد تجده في جميع مقررات جامعات البلاد العربية. إذ نجد تلك المقررات قد ارجعت الأصل اللغوي إلى العالم ونحسب هذه الدراسة قد بينت عدم دقة هذا الرأي.
- يوصي الباحث باعتماد كلمة "سكيولرزم" بدلا عن علماني.

المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم**

1. A dictionary of Arts, Science Litrature and Genoeral Information V24 New York 1911.
2. Dictionary of Modern sociology, Thomas Ford Hoult
3. Dictionary of Philosophy & Religion, Eastern & Western Thought By Willam L. Reese 1980 New Jersey.
4. Encyclopedia Britannica. V20 - 1768.
5. Encyclopedia of Ethics and Religion, by James Hastngs. Printed by Moeison & Gibb Limited
6. Encyclopedia of Religion, Edited by Professor Vergilius Ferm, New York 1945.
7. Encyclopedia of the Social Sciences, by Edwin Rna.Sellg. V13 New York
8. The Encyclopedia American Volume Xx1v Copyright 1961 Shekago.
9. The New Encyclopedia Britannica, Axicropadia Volume 1x. 1768.
10. The Fontana Dictionary of Modern Thought By Alan Bullock, Oliver Stallgb and Stephen Trombley.
11. Webster's Third, New International Dictionary, U.S.A 1971

١٢. زكريا، فؤاد(١٩٨٩م) الصحوة الإسلامية في ميزان العقل، ط١، دار الفكر، القاهرة.

١٣. عزيز العظمة(١٩٩٢م) العلمانية من منظور مختلف، د.ن، بيروت.

١٤.معن زيادة(١٩٨٨م) الموسوعة الفلسفية العربية،ج٢، ط١، معهد الإنماء العربي، بيروت.
١٥.فرج، السيد أحمد(١٩٩٣م) الجذور التاريخية للصراع بين العلمانية والإسلام في مصر، دار الوفاء .
١٦. Ellious Bocthor Eqyptien - Dicionaire Francais - Arab.
١٧.سيبويه، عمرو بن عثمان(١٣١٧هـ) الكتاب، ج١، طبعة بولاق، مصر.
١٨.النجار، حسين فوزي(١٩٩٠م) الدولة والحكم في الإسلام، دار الحرية القاهرة.
١٩.العرمابي، محمد زين الهادي(١٤٠٧هـ) نشأة العلمانية ودخولها المجتمع الإسلامي، دار العصمة، الرياض.
٢٠.القرضاوي، يوسف (١٩٩٧م) الإسلام والعلمانية وجها لوجه، مكتبة وهبة، مصر.
٢١.الجرجاني، علي بن محمد(د.ت) التعريفات، تحقيق: عبد المنعم الحقي، دارالرشاد.
٢٢.العقاد، عباس محمود (د.ت) الإسلام في القرن العشرين، كتاب الهلال رقم ١٠٨، الهيئة المصرية العامة للكتاب،
٢٣. Al-attas, mohammad naqib(1995) Prolegomena to the Metaphysics of Islam , Istac, KL .
٢٤.الأفغاني، جمال الدين(د.ت) الأعمال الكاملة، أعده: محمد عمارة، المؤسسة المصرية العامة .
٢٥.دائرة المعارف الاسلامية (د.ت) تأليف أئمة المستشرقين في العالم أصدرها بالعربية أحمد الشنتناوي وإبراهيم زكي خورشيد وعبد الحميد يونس، راجعها د.محمد مهدي ج٩ ، د.ن.
٢٦.الغزالي، أبو حامد (د.ت) المنقذ من الضلال، تحقيق محمد محمد جابر، المكتبة الثقافية، بيروت..
٢٧.الشهرستاني، ابو الفتح محمد بن عبد الكريم(١٣٤٧هـ) الملل والنحل، تحقيق: محمد كيلاني، ج٢، القاهرة.
٢٨.الجاحظ، عمرو بن بحر(١٣٢٥هـ) الحيوان ، ج٣٧، القاهرة .
٢٩.دي بور(١٩٥٧م) تاريخ الفلسفة في الإسلام، نقله الى العربية وعلّق عليه: د. محمد عبد الهادي أبو ريدة، لجنة التاليف والترجمة والنشر القاهرة.
٣٠. The History of Western Philosophy P13 London 1979